الأوضـــاع الداخلية في روسيا القيصرية ١٧٢٥ – ١٧٦٢

المدرس الدكتور
مشعل مفرح ظاهر
جامعة البصرة – كلية الآداب

ملخص

ان السمة الواضحة في تاريخ روسيا القيصرية خلال الفترة الممتدة ١٧٢٥ ــ ١٧٦٢ هو ضعف السلطة او القياصرة بمعنى اوضح ممن اعتلى العرش بعد القيصر بطرس الاكبر ١٦٨٩ ــ١٧٢٥ مؤسس روسيا الحديثة . اذ اجتاحت البلاد فوضة سياسية ليس لها مثيل في تاريخ روسيا القيصرية بعد ان تناوب على العرش قياصرة ضعفاء لم يتمكنوا من التواصل مع عهد القيصر بطرس الاكبر فسادت العادات و التقاليد الاوربية السلبية في المجتمع الروسي مما افسح المجال لشخصيات اجنبية بأن تلعب دور سيئا في بنية الدولة ومؤسساتها وتتغلغل في المجتمع الروسي خاصة وان هؤلاء هم من جذور اجنبية لا تعنيهم الاصلاحات والنهضة في البلاد مما ادى الى تدهور الاوضاع وفساد البلاط في روسيا القيصرية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

In the Name of the God, Most Gracious, Most Merciful

The paper deals with the interior state of affairs in tsarist Russia (1725-62). The distinctive feature of this historical period of tsarist Russia was the powerless authority or specifically the tsarists themselves after the death of the Russian tsarist Peter, the Great(1689-1725)who is considered as founder of modern Russia. At that time the country was overrun with political anarchy that had never seen before throughout the history of Russia.

That was owing to the powerless tsarists that successively ascended the throne and were unable to continue with the era of Peter, the Great .Therefore, the negative European habits and traditions prevailed among the Russian society and that gave a free hand for foreign personalities to act abad role in the structure of the Russian state and society. They also weakened the government due to their direct control over the organs of the government and its properties. However, this enabled the throne them to ascend tsarists of non-Russian origins.

Those tsarists didn't care for reformatting and raising the country and this led to the declination of the states of affairs in tsarist Russian during this period.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مرت روسيا القيصرية آثر وفاة قيصرها بطرس الاكبر Peter the Great في ٢٨ كانون الثاني ١٧٢٥ بأزمة فراغ العرش ، فالقيصر لم يكن له وريث بعد اعدامه ابنه الوحيد الكسي Alexy في ١٧١٧ [١] كما وان زوجته الثانية كاترين لم تنجب له سوى البنات ، ولم يبق من الذكور سوى حفيده الصغير بطرس بن الكسي [٢] . فكان ذلك مدعاة ليتنافس الامراء الطامعين في استرداد امتيازاتهم التي سبق وان سلبها منهم بطرس الاكبر ، فأيد قسم منهم حفيده الطفل بطرس في تولي العرش تحت وصايته ، وقاد هذا التجمع امراء عائلة دولغروكي Dolgoruky ، وغالستين Golislyn ، والامير روبنيين Ropnin [٣] .

في حين تصدت الاميرة كاترين زوجة القيصر لمطالبهم ، واعلنت انها الاحق في عرش زوجها . ووقف الى جانبها جميع قادة ورجال بطرس الاكبر امثال ابراكسين Apraxin ، والجنرال بوترلين Poterlin ، والجنرال مينشكوف Minshikov رئيس الحرس الوطني ، والكونت غولوفكين Golovkin . C . حامل اختام الدولة ، والمطران فيفيان Vivan ، والكونت تولستوي Tolstoi . C وغيرهم [٤] ، ومن الواضح جداً ان النزاع بين الطرفين كان نزاعاً على السلطة والنفوذ ، فالامراء يتنازعون من اجل استرداد سلطتهم المفقودة ، وان اعتلاء كاترين للعرش يعني استمرار سياسة زوجها الراحل من تغييب دورهم عن الساحة الروسية ، في حين طمع الموالون لكاترين في زيادة نفوذهم للحصول على المزيد من المكاسب ، فضلاً عن الحماية التي يمكن توفرها لهم من غضب الامراء ، فأغلبهم من ابناء الطبقة العامة ممن استفادوا من اصلاحات بطرس الاكبر ، ومما زاد من قوة موقفهم وقوف قناصل الدول الاجنبية الى جانبهم في صراعهم ضد الامراء ، وتأييدهم لتولي كاترين العرش ، وكان الحفاظ على الامتيازات في البلاط الروسي الدافع الاساسي لموقف الاجانب الداعم [٥] ، وعلى اثر اشتداد النزاع بين الطرفين ، تم تشكيل لجنة لحل الازمة لتجنيب البلاد الدخول في حرب اهلية أو ان تصبح حرب وراثة العرش حرباً تستقطب جميع الطامعين بالاراضي الروسية من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدول الاوربية او الدولة العثمانية [٦] . فأقترحت اللجنة ان يكون الطفل بطرس امبراطورا ً للبلاد ، وان تكون كاترين وصية ً عليه ، وقدمت اللجنة الضمانات الكفيلة بتطبيق ذلك المقترح لكاترين . الا ان مؤيديها رفضوا ذلك المقترح ، وشككوا بنزاهة اللجنة ، وأكدوا بان كاترين قادرة على ادارة البلاد بمفردها مستشهدين بنجاحها في انقاذ الجيش الروسي من الاسر العثماني في بروث ١٧١٣ [٧] . وذكر الباحث في التاريخ الروسي كلاركسون ان الاميرة ومؤيديها اقترحوا على اللجنة ان تكون امبراطورة للبلاد ، وان يكون بطرس ولي عهدها ، الا ان ذلك المقترح لم يلقى قبول الطرف الاخر [٨] ، مما افشل عمل اللجنة المكلفة بحل النزاع وقاد الى الصدام المسلح بين الطرفين المتنازعين ، وكانت الغلبة لكاترين بفضل قادة الجيش وعساكرهم المنظمة ، في حين اعتمد الطرف المنهزم على قوات من اتباعهم الفلاحين غير المنظمين بأسلحتهم البسيطة مقارنته بأسلحة الطرف الاخر [٩] ، وبأزاء ذلك تولت العرش باسم كاترين الاولى Catherin I سنة ١٧٢٥ . واستطاعت خلال مدة وجيزة اعادة الاستقرار الى البلاد ، الا انها واجهت بعض المشاكل في البلاط ، اذ بدأ مؤيديها بالتنافس على المناصب العليا بخاصة ان الجنرال مينشكوف قد عدّ نفسهُ الرجل الاول بالدولة فبدأ بعزل تولستوي ونفيه الى سيبيريا ، وتهميش من تبقى في البلاط ، وادركت الامبراطورة طموح الجنرال ونفوذه مما دعاها الى عزله ونفيه فيما بعد الى سيبيريا ، والسماح لتولستوي بالعودة الى البلاط من جديد [١٠] .

حاولت كاترين الاولى قدر الامكان السير وفق منهج زوجها الراحل في ادارة البلاد والعمل على نهضتها . فأفتتحت عام ١٧٢٦ مجلس المعارف الذي ضم كبار العلماء والادباء في روسيا ، ووجهت الدعوات لمعظم مشاهير اوربا بالحضور ندواته العلمية ، وخصصت الاموال اللازمة لدعم نشاطاته الثقافية المتنوعة ، وخصصت الجوائز القيمة والمكافآت المالية المغرية لكل من يسهم بعمل مميز جديد في جميع الاختصاصات [١١] . وشجعت حركة الاستكشافات الجغرافية الروسية ، وعينت القبطان الروسي بيرينج Peihrang رئيساً للشعبة العلمية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجغرافية ، وقد نجحت في ارسال آول بعثة روسية استكشافية الى شمال شرق اسيا من عام ١٧٢٦ [١٢] . كما سمحت للمؤرخ الروسي شافيروف Shavirov بالعودة من منفاه في سيبيريا ، وتدوينه تاريخ روسيا القيصرية في عهد بطرس الاكبر [١٣] . اما فيما يخص الادارة فقد عطلت عمل مجلس الاعيان جامعة السلطات كافة بيدها ملغية في الوقت نفسه جميع الالقاب الخاصة بالمجمع المقدس . جاعلة امور البلاد تدار من خلال مجلس شورى سري برئاستها ضم كل من الامير مينشكوف ،الاميرال ابراكسين وكولفين وتولستوي واسترمان الالماني مستشارها الخاص [١٤] .

أوصت الامبراطورة قبل وفاتها بولاية العهد الى حفيد زوجها بطرس الكسفيتش . وان مات قبل بلوغه فتعتلي ابنتيها العرش على التوالي الاميرة آنا Anna زوجة دوق هولشتاين ومن ثم ابنتها اليزبيث Elezabithe ، وان ماتت هي (الامبراطورة) وبطرس لم يبلغ الثامنه فانه يقع تحت وصاية مجلس يضم ابنتيها وصهرها دوق هولشتاين والامير مينشكوف ، وثمانية من اعيان الامبراطورية [١٥] . وبالفعل توفيت الامبراطورة عام ١٧٢٧ ولم يبلغ بطرس الثامنة عشر من عمره ، فارتقى العرش باسم بطرس الثاني Peter II ١٧٢٧ – ١٧٣٠ وخضع لوصاية المجلس ، فتنافس اعضاء المجلس لينفرد احدهم بالسلطة . اذ اعلن الامير مينشكوف على الملأ عن خطبة ابنته للقيصر المغلوب على امره . مما اتاح له من خلال تلك المصاهرة بان يتخذ لنفسه عدة القاب من ضمنها قائد القوات المسلحة . كما اتخذ عدة اختام تعبر عن سلطته ونفوذه في البلاط ومن اهمها ختم المراسلات الخاص بينه وبين القيصر اذ كتب عليه " آبوك مينشكوف " مما يدل ذلك على قوة نفوذه . كما امر فيما بعد بان يضاف اسم عائلته الى العائلة القيصرية في التقويم السنوي الروسي الذي يوزع في جميع انحاء روسيا عند مطلع كل عام جديد [١٦] .

ويبدو مما تقدم ان الامير مينشكوف بدأ يخطط لخلع القيصر والاستيلاء على العرش في روسيا ، ولم تكن مؤامرات الامير خافية عن القيصر لكنه يخشى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جانبه ، اذ صارح استاذه استرمان بمخاوفه من طموح الامير وسلطته في اكثر من مناسبة ، مما دعا بالاستاذ بان يقنع القيصر بضرورة ايقافه بعد ان يستميل الى جانبه قادة الجيش ورجال البلاط [١٧] . وجاءت الفرصة المناسبة للقيصر لعزله حين استرد مينشكوف هدية القيصر لاخته الاميرة اليزابيث بحجة انه قاصر ولا يحق له التصرف بآموال الشعب دون موافقة مجلس الوصاية . فأتخذ القيصر قراراً بعزله ونفيه الى سيبيريا بمساعدة رجال البلاط والقادة العسكرين ومجلس الوصايا [١٨] .

كان عزل الامير مينشكوف وابعاده من الساحة السياسية ايذانا ببدأ الصراع من جديد على السلطة بين اعضاء مجلس الوصاية . مما اتاح ذلك لآل دولغروكي وآل غالستين بان يستولوا على المناصب العليا في البلاط ، وعلى المجلس السري الاعلى الذي تشكل بدل مجلس السينات (مجلس الشيوخ). [١٩] .

وقد تدهورت الاوضاع في الامبراطورية وانتشر الفساد في مختلف مؤسساتها ، ومما يدل على ذلك الفساد رسالة الاميرة اليزابيث الى اخيها القيصر " ..... اني قد أهملت تماماً ولا يصلني أي شيء من البلاط حتى الراتب المخصص لي " . وقد استمرت الاوضاع بالتدهور في البلاد حتى وفاته بمرض الجدري عام ١٧٣٠ [٢٠] .

أتفق اعضاء المجلس السري الاعلى أثر وفاة القيصر بطرس الثاني على دعوة الاميرة آنا ايفانوفا Anna I Vanova ابنة اخ القيصر بطرس الاكبر وزوجة دوق كورلاند لاعتلاء العرش ولكن وفق الشوط التي وضعوها وهي كالاتي [٢١] : -

١- على الامبراطورة الالتزام بشروط المجلس والاستشارة في جميع الامور .
٢- لا يحق للامبراطورة تعيين أي شخص في المناصب المهمة او حتى اهداء الاراضي الا بموافقة المجلس .
٣- يحق للمجلس نقض قرارات الحروب والمعاهدات الدولية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- لا يحق للامبراطورة ان تحاكم او تصادر ممتلكات أي شخص من الامراء او الاشراف الا بعد محاكمته قانونياً .

٥- لا يحق لها ان تنتخب ولي عهدها الا بموافقة المجلس .

وافقت الاميرة على شروطهم بتعهد خطي ذكرت فيه " ..... انـي عن رضى واختيار قبلت هذه الشروط ، واني لا اقوم الا بها ، واذا نقض احداها اكون محرومة من العرش " [٢٢] .

من الواضح جداً ان روسيا دخلت في هذه الفترة مرحلة الحكم المطلق لارستقراطية النبلاء . دون بقية دول اوربا التي كانت تحكم وفق نظرية الحق الالهي .

سارت الامور في البداية بهدوء تام . الا انه سرعان ما بدء قادة الجيش بالتذمر من اوامر المجلس السري وتدخله في شؤون المؤسسة العسكرية ، كما تذمر الدوفريان من سلطاتهم ، ولم تقبل ايضاً طبقات المجتمع الروسي نفوذ المجلس وقراراته . وطالبوا بان لا تخضع الامبراطورة لاوامره ، وتكون دمية في يده ، وعلى الرغم من تلك المطالب لم تستطع الامبراطورة تغيير الوضع في البلاط بسبب التزاماتها السابقة [٢٣] .

ادركت المجاميع المثقفة من الشعب والدوفريان وغيرهم من كبار الضباط عجز الامبراطورة عن مواجهة المجلس السري الاعلى فشكلوا جمعيات سرية منظمة ظهرت للمرة الاولى في تاريخ روسيا الحديث فنظمت المظاهرات الشعبية ضد المجلس وسلطته وطالبت بعودة السلطات الى الامبراطورة ، وعقدت الجمعيات السرية عدة ندوات في مختلف المدن الروسية الرئيسية [٢٤] ، وآعلنوا عن مسيرة في العاصمة بطرسبورغ ضمت جميع طبقات المجتمع ، واستطاعوا توجيهها نحو القصر . اذ تمت محاصرته بعد ان انظمت اليهم الفرق العسكرية المكلفة بحراسته ، مما اجبر المحاصرون على الاستسلام ، وتم ارغامهم على حضور الاجتماع الاول لمجلس الاعيان الذي قرر تحرير الامبراطورة من شروطهم السابقة . وقد صوت على القرار اكثر من ٨٠٠ نائب مثلوا مختلف طبقات المجتمع الروسي كما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طالب قادة الجيش السماح لهم بأعتقال اعضاء المجلس السري الاعلى واعدامهم في احدى الساحات العامة بالعاصمة . الا ان الامبراطورة رفضت الطلب مكتفية بأبعادهم من البلاط [٢٥] .

مثلت مدة حكم الامبراطورة آنا ١٧٣٠ – ١٧٤٠ سطوه الاجانب في البلاط الروسي ، ويبدو انها اعتمدت عليهم لتحجيم دور الامراء الدفوريان الذين استعادوا اثر ابعاد المجلس السري الاعلى امتيازاتهم السابقة وباتوا خطراً حقيقياً على الامبراطورة نفسها [٢٦] . لذا استدعت عشيقها الالماني ارنست بيرون A. Perun وقلدته منصب رئيس الحكومة ، ونصبت زميله ليفولند Liovoland رئيساً لشؤون البلاط ، واسترمان وزيراً للخارجية ، واعادت الكونت فون مونيس Von Monies مشرفاً على الجيوش الروسية ، وعينت الجنرال لاشي Lashy ، والجنرال مونيخ Monich مساعدين له . ومنحت رئاسة السفراء لشخص الماني ايضاً وهو السيد كورف كايسرلنك K. kaiserlank [٢٧] . وقد اعلنت الامبراطورة في بيان للشعب الروسي بان هدفها من كل ذلك استكمال اصلاحات القيصر بطرس الاكبر ، وبالطبع لم تكن صادقة في ادعائها ، وانما جاءت معظم القرارات بحسب رغبات عشيقها الالماني ومنها اصدارها مراسيم تقييد الصحافة والنشر ومنع الروس من الاختلاط بالاجانب كما انها زادت الضرائب على الفلاحين ، وألغت التعرفة الجمركية التي وضعت لحماية الاسواق الداخلية في عام ١٧٢٤ ، واوقفت مجلس الاعيان عن العمل ، وشكلت لحمايتها حرساً خاصاً من الخيالة بقيادة الضباط الالمان ، واستبعدت عن القصر جميع الضباط الروس [٢٨] . وبتلك الاجراءات تكون قد سيطرت على جميع الامور داخل القصر وخارجه فانغمست بالملذات بصحبة عشيقها ، واهملت شؤون البلاد . واصبح بيرون صاحب الكلمة والقرار في الامبراطوية . اذ اصدر عدة اوامر لم يعتاد عليها الشعب الروسي من قبل مثل اباحة المشروبات الكحوليه ، وفتح الملاهي الليلية ، وقاعات لعب القمار ، والسماح للنساء ارتياد الملاهي الليلية بصورة منفردة وبكامل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحرية وتحت حماية القانون واطلاق حرية نشر الروايات الايطالية والالمانية ذات الاسلوب الفاحش [٢٩] .

عمد بيرون من تلك القرارات اشغال شرائح المجتمع بما ادخله عليهم من تلك الملذات هو ابعادهم عن التدخل في السياسة بخاصة بعد ان أمن جانب الجيش وحركات التمرد التي قد يقودها ضباطه الوطنيين بعد ان اشرف عليه زملائه الالمان .

لم تكتف الامبراطوره بذلك بل سارت على نهج عشيقها في اصدار الاوامر غير مقبولة في البلاط الروسي ، ومنها منع ارتداء الملابس السوداء فاجبرت اعضاء حكومتها على ارتداء الملابس الفاقعة الالوان خلال الاجتماعات [٣٠] . فضلاً عن اصدارها مجموعة من المراسيم التي اعتبرها الشعب الروسي ورجال الكنيسة بانها لا تليق بمكانتها كامبراطورة ، ومما ذكره المطران فيفان بهذا الصدد " ... ان الامبراطورة تتسلى بسخريات مخلة بالاداب ، وهي تحب الروايات الايطالية والالمانية لوجود الفواحش فيها " [٣١] . ونتيجة لتلك التجاوزات نظم فولكسي Volexy عضو مكتب الوزراء محاولة للانقلاب لانهاء حكم الاجانب ، واعادت السلطات الى مجلس الشيوخ والعودة الى اسس سياسة بطرس الاكبر الداخلية . الا ان امر الانقلاب افتضح فاعدم فوليكسي ومساعديه وعوقب بقية المتآمرين بالجلد والنفي الى سيبريا [٣٢] . كانت تلك المؤامرة انذاراً للامبراطورة وعشيقها ، فأصدرت عدة اوامر ايجابية كان من اهمها الغاء ميراث الوظائف المعمول به منذ زمن بطرس الاكبر ، كما اجرت تعديلات على القوانين الخاصة بالملاكين اذ منحت الابن الاكبر للفلاح قطعة من الارض لاستصلاحها . كما افتتحت مدارس عسكرية تقبل الطلاب من هم في سن السابعة وتنتهي الدراسة في سن العشرين ، ليكمل بعدها خدمته في المؤسسة العسكرية حتى يبلغ سن الخامسة والاربعين [٣٣] ، كما افتتحت مدارسً خاصة بأبناء النبلاء يتم تعليمهم فيها القانون والادب ، والرياضيات ، والتاريخ بالاضافة الى بعض المواد العسكرية الرئيسه كالرماية وركوب الخيل [٣٤] . الا انها واجهت ازمة اقتصادية كبيرة نتيجة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشاركتها في حرب الوراثة البولندية ١٧٣٣ التي اجبرتها على تجنيد الفلاحين وعمال المصانع مما انعكس سلبا على الزراعة والصناعة . فارتفعت الاسعار وعمت المجاعة البلاد ، وكانت الثلوج قد اتلفت القليل المتبقي من المحاصيل الزراعية [٣٥] . وقبل موتها سنة ١٧٤٠ عينت الامبراطورة وليا للعهد الامير ايفان انتوفيتش Ivan Antonovitch حفيد شقيقتها دوقة براونشينيع Brosunk الذي لم يبلغ العامين ، وعينت بيرون وصياً عليه حتى بلوغه ، واجبرت جميع اعضاء حكومتها المصادقة على تلك الوصية رغم وجود بعض المعارضين الروس على وصايته لكونه اجنبياً ولوجود والدة الطفل الاميرة انااليوبولدوفنا Annaleopoldovana الاحق بالوصاية واحدى سليلات عائلة رومانوف الحاكمة . ولم تجد المعارضة نفعاً اذ ترأس الاجانب الحكومة كسابق عهدهم . الا ان الجماهير الروسية لم تقبل بسلطتهم مما ادى الى تأمر مونيخ واسترمان ضد بيرون وسمه في احدى الحفلات اعتقاداً منهم بانه بالخلاص منه ستعود الامور الى طبيعتها ويتبدد غضب الشعب الروسي [٣٦] . الا انهم حصلوا على اقل مما يتوقعون من مناصب اذ عين مونيخ الوزير الاول في البلاط علماً بانه قد وعد في السابق بمنصب قائد القوات المسلحة . بل لم يبق في هذا المنصب طويلاً اذ تأمر حنده استرمان واقيل من منصبه [٣٧] . في تلك الاثناء برزت شخصية جديدة في البلاط الروسي وهي الاميرة اليزابيث ابنه القيصر بطرس الاكبر الصغرى ، وقد كانت تلك الاميرة تحت الحراسة المشددة والاقامة الجبرية في قصرها بعد ان رفضت الزواج من ابن بيرون الذي ادرك نشاطها السياسي منذ وقت مبكر ، وقد اتاح لها مقتل بيرون الفرصة للعودة من جديد الى البلاط ، فاستطاعت خلال مدة وجيزة ان تجمع حولها العديد من قادة الجيش وتحصل على تأييدهم ، ولم تكتف بذلك بل نظمت عدة زيارات لمساكن الفقراء وملامسة معاناتهم ، كما قامت بعدة زيارات للمستشفيات العامة ، وبتلك الزيارات حصلت على التأييد الشعبي في اعتلائها للعرش الروسي [٣٨] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اقسم قادة الجيش الروسي للاميرة بالطاعة ، وانهم على اهبة الاستعداد لتغيير الاوضاع في البلاط ان سمحت لهم هي بذلك وقد حاول السفير الفرنسي في بطرسبورغ كسب ودها وثقتها ، وذلك باقناعها للقيام بانقلاب ضد العرش ، وان بلاده على استعداد تام لدعمهما ماديا ً وعسكريا ً . الا انها رفضت معتبرةً الدعم الفرنسي محاولة لاحلال النفوذ الفرنسي بدلاً من النفوذ الالماني في البلاط الروسي ، وكان السفير الفرنسي قد اكد لها مخاوفها في واحدة من فلتات لسانه بقوله " ... لقد حان الوقت لاستلام السلطة وطرد الالمان منها " [٣٩] .

تزايد الضغط الشعبي بمطالبة الاميرة في اعتلاء العرش ، وانهاء سلطة الالمان المتزايدة مما اجبرها على تحديد موعد الانقلاب يوم ٢٥ تشرين الثاني ١٧٤١ مع قادة فوج بريوبراجنسكي ، واستطاعت بقواته اجتياز شوارع العاصمة دون مقاومة تذكر . وباحتلالها القصر القت القبض على الوصية وزوجها وعلى القادة الالمان بزعامة استرمان ونودي بها امبراطورة للبلاد باسم الامبراطورة اليزابيث ١٧٤١ [٤٠] .وادى لها جميع الامراء والاعيان وقادة الجيش يمين الولاء . فاصدرت اوامرها بنفي القيصر ايفان الى شلسبرغ في سيبريا ، وتم سجن الوصية في كولو كوري حتى موتها عام ١٧٤٦ . اما فيما يخص الالمان فلقد تمت محاكمتهم . وصدرت بحقهم الاحكام القاسية . اذ امرت المحكمةالتي ترأسها احد افراد دولغروكي الناقمين على الالمان بتقطيع جسد مونيخ والقائه في شوارع بطرسبورغ . واصدرت امرا ً بقطع رؤوس من تبقى من زملائه في احدى الساحات العامة الان الامبراطورة اصدرت عفوا عاما واكتفت بنفيهم الى سيبيريا. [٤١]

اعلنت الامبراطورة ان مجلس السينات هو الجهاز الاعلى لادارة الدولة . غير ان السلطة الفعلية تركزت بيد المقربين منها مثل قادة الدفوريان الاخوان فورنتسوف Vorntshilov وآل شالوف Shavlav وغيرهم . ولعب الدفوريان الذين اسهموا في تنصيبها دورا ً كبيرا ً في البلاط ، وقد نال هؤلاء جميعا ً هبات نقدية ، وعينوا في ارفع المناصب كما منحوا اقطاعيات واسعة جدا ً . في مناطق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفولغا واوكرانيا وتحولت فئات جديدة من الفلاحين الروس وغير الروس الى اقنان عند الدفوريان [٤٢] .

على الرغم من سياستها المتسامحة مع الشعب قبل اعتلائها العرش الا انها ظهرت ارثودكسية متطرفة جداً بعد تنصيبها اذ اصدرت مراسيم خاصة بالديانات والمذاهب الاخرى تميزت بألاضطهاد القومي والديني . فقد اجبرت المسلمين على اغلاق مساجدهم او بناء أي صرح اسلامي جديد ، والغت جميع الكنائس الارمينية في بطرسبورغ وموسكو وطرد جميع اليهود من امبراطوريتها [٤٣] . فأثارت بأجراءاتها تلك شرائح عديدة من المجتمع الروسي ضدها ، فأجبر العديد من اتباع تلك الديانات على الهجرة الى البلدان المجاورة واستولى الدوفريان والتجار الروس على اراضيهم او شراء ما تبقى منها بأبخس الاثمان . ولم تكتف الامبراطورة بتلك الاجراءات بل حرمت التجارة معهم ، وقد اعلنت عن رغبتها بتنفيذ ذلك خلال جلسة السينات ".... لا اريد ربحاً او نجاحاً من اعداء المسيح او الارثودكس " [٤٤] . مما تسبب ذلك بنوع من الركود لكثير من البضائع داخل روسيا وخارجها . على الرغم ما قدمته من تشجيع للتجارة الداخلية والصناعة . اذ اهتمت بصناعة الجوخ والاقمشة الحريرية والقطنية ، وزادت من حدة الاختصاص في مناطق عديدة زراعة القمح وتربية المواشي وزراعة النباتات الصناعية ، واكدت على الدورة الثلاثية نهائياً في مناطق الوسط ونمت الحرف الفلاحية بخاصة في مدن نيجنى – نفغورود ، ارخا نجيلسك ، موسكو ، نفغورود ، وتطورت الصناعات الكبرى ، واستثمرت جميع ثروات بشكيريا من جنوبي الاورال ، واقيمت مصانع جديدة في المنطقة الصناعية القديمة من تولا – كالوغا ، واخذت الطبقة التجارية تستثمر اموالها في الصناعة حتى فاق انتاج المصانع الخاصة في الخمسينيات مرتين ونصف انتاج المشاريع الحكومية . وفي عام ١٧٤٥ حصل الفلاحون بمن فيهم فلاحوا الاشراف على حق البضائع ، وسمح لهم سنة ١٧٥٨ تسجيل اسمائهم في سجل التجارة ، واصدرت اجراء هام لتنمية التجارة يقضي بالغاء حقوق الجمارك الداخلية وبذلك تكون قد سبقت فرنسا بأربعين عام فنشطت التجارة مع سيبريا . ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وضعت نظام جديد لحماية التجارة عام ١٧٥٧ حددت بموجبه التعرفة الجمركية لبعض البضائع الضرورية المستوردة . وأسست الحكومة في سنة ١٧٥٤ المصرف الوطني للتسليف الذي كان يمنح القروض للنبلاء والتجار لقاء ضمانات تتألف من حلى ومجوهرات او املاك او حتى البضائع المحفوظة في مستودعات الجمارك [٤٥] .

ووضعت عام ١٧٥٣ رسوم جمركية داخلية بين المدن الروسية تؤخذ على المحاصيل الزراعية والبضائع ، وقدمت لملاكي الاراضي الزراعية قرضاً بفائدة ٦ % سنوياً [٤٦] . وارسلت العديد من الطلاب الى هولندا لدراسة الرياضيات والقانون ، وشجعت على دراسة علم اللاهوت في موسكو ، وألغت عقوبة الاعدام في المحاكم الروسية ، وأمرت بتشديد العقوبات الجزائية بخاصة ضد قطاع الطرق واللصوص . كما منعت النساء من دخول الحمامات العامة خلال تواجد الرجال فيها ، وهو ما كان مسموح به خلال حكم الامبراطورة انا وبيرون [٤٧] .

انتعشت في عهد الامبراطورة اليزابيث الثقافة والعلوم اذ اشتهر في عهدها العالم تريديا كوفستكي Treidi Kovstky و م . ف لومنسوف M . F . Lomonsov . الذي اغنى العلم باكتشافاته وبحوثه فضلاً عن انشائه اول جامعة في روسيا عام ١٧٥٧ م والتي ضمت ثلاث كليات ، الطب والفلسفة والقانون. ومما قاله لومنسوف " .... ايها النشطاء تجاسروا ، وبجهودكم دللوا على ان الارض الروسية تستطيع ان تلد افلاطونها الخاص وامثاله وكذلك نيوتنها السريع التفكير واشباهه " [٤٨] .

وقد اجازت الامبراطورة فتح المدارس الاهلية ، وكلفت عشيقها ايفان شافلوف بمتابعتها . فتم تدريس الطب والفلسفة فيها وتطورت تلك المدارس لتكون جامعات فيما بعد في بطرسبورغ وباتورين ، واهتمت ببناء المدارس العسكرية في المناطق الحدودية الجنوبية واكدت على تعليم ابناء المنفيين في سيبيريا [٤٩] ، واستقطبت الاساتذة الاجانب المتميزين الى بلاطها والتدريس في الجامعات الروسية وبخاصة الفرنسيين كالمصور لورين Lurien . ولاكرين Lakrein وبد يغالي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Bedigaly ، كما انها استدعت اشهر نقاشي ايطاليا ومهندسيها راسترالي Rastraly لاعادة تخطيط شوارع العاصمة وبناء القصور الشتوية فيها . كما ضم بلاطها الكاتب المسرحي الكوميدي لابرتيه Laparteih .الذي ادخل الاعمال الكوميدية الى المسرح الروسي ، ومن شدة اعجاب الامبراطورة بأعماله ارسلت العديد من الطلاب الى فرنسا لدراسة المسرح والفنون وخصصت جناحاً خاصاً بالقصر لفناني روسيا الاوائل (٥٠) .

اوصت الامبراطورة قبل وفاتها ١٧٦١ بولاية العهد لابن اختها انا بتروفننا بطرس دوق هولشتاين . فأعتلى العرش باسم بطرس الثالث PeterIII ١٧٦١ – ١٧٦٢ . ومنذ اللحظات الاولى لحكمه لم يشعر بالاطمئنان . بل كان كثير الشك بالحرس القيصري وكثير الحنين الى مسقط رأسه هولشتاين ، وقد اعرب في اكثر من مناسبة عن استيائه وشعوره بالغربة ، الا انه اشغل نفسه في بداية وجوده في روسيا بتشكيل فرقة عسكرية اطلق عليها اسم هولشتاين واهتم بها كثيراً (٥١) . وأصدر مرسوماً حال اعتلائه السلطة أعفى فيه الدفوريان من تكريس حياتهم من خدمة البلاط ، وان لهم حرية العمل والتعليم وقد نال هذا المرسوم اعجاب الطبقة العامة من المجتمع الروسي (٥٢) . الا انه يبدو من هذا القرار هو محاولة للتخلص من سلطة الدفوريان من البلاط لا اكثر . كما رفع الاضطهاد القومي والديني القاسي الذي اتبعته الامبراطورة اليزابيث من قبل ، واعلن المساواة بين الاديان فعاد رجال الدين غير المسيحيين الى مراكزهم الدينية ، وامر بان تعاد لهم حقوقهم واعفى عن المطلوبين منهم للعدالة . كما اعاد العمل بقانون جمع الاموال من الكنائس والاديرة والرهبان ، وامر بان الدولة تتكفل برواتبهم (٥٣) . وبذلك يكون قد سبق الفرنسيين وصلح الكونكردات الذي عقده نابليون بونابرت عام ١٨٠١ مع البابا بيوس السابع (٥٤) . واهتم كثيراً بالفلاح الروسي وعده اساس التقدم الاقتصادي في البلاد متخذاً من فترة حكم القيصر بطرس الاكبر خير دليل . كما أعاد كل من نفي من سيبيريا في العهود السابقة فعاد مونيش ومدام لابوكين ، ولستوك دوق كورلاند والد القيصر ايفان . ويؤكد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤرخون الروس بان هذا العفو جاء بناءً على طلب تقدم به كاتم اسراره فولكوف Volkov [٥٥] . وعلى الرغم من الاشادة الشعبية بتلك القرارات . الا اننا نجد ان الاشراف بدأوا يتآمرون ضده لخشيتهم من عودة الاجانب للبلاط ، ومنافستهم على المناصب [٥٦] . كما الغى بمرسوم أصدره في شباط ١٧٦٢ الشرطة السرية التي أنشآها بطرس الاكبر . ونص المرسوم كذلك على منع الاعتقال العشوائي او اعتقال المتهمين السياسيين الا بقرار من مجلس الشيوخ . كما أعفى فيه ايضاً مقترفي جريمة الزنا من التعذيب [٥٧] . وخفض بعد ذلك الرسوم الجمركية الخاصة بالتصدير الداخلي والخارجي ، وقلل من اسعار الملح وحرم شراء الاقنان وتشغيلهم في المصانع [٥٨] .

يذكر المؤرخون الروس ان القيصر بطرس الثالث كان بروتستانتياً بالسر اذ كان متأثراً كثيراً بأفكار المصلح الالماني مارتن لوثر Marten Lother ومما يؤكد ذلك بانه كثير الانعزال في غرفة اطلق عليها اسم (غرفة الحزن) وهي الغرفة التي دفنت فيها الامبراطورة اليزابيث ويؤكد المؤرخ الروسي داشكوف Dachkov . بان القيصر الروسي بطرس الثالث " .... كان يداعب النساء في القصر ، ويهزأ بالكهنة والرهبان الارثودكس ، ويوبخ الضباط على ابسط امور القيافة،وكثير الانعزال " [٥٩] . والغى فرقة دي كورDe Core المكلفة بحماية القصر بعد ان اعلن امام مجلس السينات انه لا يثق بقادتها . بربورانكس وسيمنوفسكي ، وايمايلوفسكي . وانه يخشى من تواجدهم في القصر [٦٠] . كما ان القيصر لم يكن مقتنعاً بالعوائد المادية التي يحصل عليها من البلاط . فألغي الملاهي المضحكة الخاصة بالبلاط من ممثلين ومهرجين ، واتبع سياسة التقشف داخل البلاط حتى بدا بسيطاً وغير لائق بقيصر روسيا ، وقد وصف لنا السفير الفرنسي برتيل Partaile البلاط ائنذاك " ... ان العيشة التي يعيشها القيصر الروسي مخجلة جداً حيث يصرف أكثر لياليه بالتدخين وشرب الكحول ، ولا ينقطع عن ذلك الا في ساعات الصباح الاولى فهو دائماً خاملاً وكسول " [٦١] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الطبيعي ان السفير الفرنسي يتحامل على القيصر ويصفه بذلك لانه ابعد الفرنسين من فنانين وادباء وغيرهم عن البلاط القيصري والاهم من ذلك وقوفه الى جانب ملك بروسيا فردريك الكبير Frederick lll ١٧٤٠ - ١٧٨٦ في حرب السنوات السبع ١٧٥٦ –١٧٦٣ وتقربه ايظا من الانكليز اعداء الفرنسيين التقليديين [٦٢] فضلا على انه احد عشاق زوجه الامبراطور الاميرة كاترين [٦٣] .

على الرغم من جمال زوجته كاترين وذكائها . الا انه اعجب بالسيدة فورنزوف Vaurzov وهي احدى نبيلات بطرسبورغ وكانت لا تحمل أي صفات مميزة مما دفع زوجته الى خيانته مع العديد من السفراء وضباط الجيش الذين تأمروا على قتله وبالفعل تم ذلك وأعلنت كاترين امبراطورة للبلاد عام ١٧٦٢[٦٤] .

ان السمة المميزة لهذه الفترة هي انقلابات القصر التي تنحصر في المشاركة الفعالة لقوات الحرس التي كانت تعتبر في نفس الوقت قوات حراسة الحاكم ، وكانت اول من يتمتع في العادة بحظوة الحاكم الجديد ، وكان ذلك يفسر الى حد كبير الطابع السلمي لانقلابات القصر وفي نفس الوقت كانت قلما تمس البيروقراطية . وعلية فان الفترة الممتدة من ١٧٢٥ – ١٧٦٢ هي فترة حكم الموظفين والدوفريان حيث استند الحكم المطلق (الالهي) الى بيروقراطية الموظفين ، وفئات المستخدمين من الاجانب وبصورة مباشرة . مع المرور ببعض الفترات بالحكم المطلق المستنير .

الهوامش

1 – David. R. Stone , Amilitary history of Russia , London , 1984. P. 61.

٢ – هو ابن السيدة افدوكسيا لابوتين Eudoxia la Putin زوجة القيصر بطرس الاكبر الاولى ، هجرها القيصر لكونها تنتمي لاسرة محافظة لا تؤمن بافكار بطرس الاكبر المتحررة . للمزيد من المعلومات انظر :

Vasili Klyuchersky , Peter the Great . Trans lated by litiana Arch pald , New York , 1961 , pp. 2 – 4 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣ – نخلة قلفاط ، تاريخ روسيا الحديث ، ج٢ ، بيروت ،١٨٨٧ ، ص ١٢ .

4 – Jess . D. Clarkson , A history of Russia . Edinburh , 1962 , P. 260 .

5 – Warren Bart lett Walsh , Russia and the Soviet Union , Michigan , 1958 , p. 122 .

6 – George Vernadasky , A history of Russia , London , 1961 , p. 159 .

٧ – نجحت الامبراطورة كاثرين في ارشاء الصدر الاعظم العثماني بلطجي محمد باشا مما ادى الى فك الحصار العثماني وتحرير الجيش الروسي ، للمزيد من المعلومات عن معاهدة بروث ١٧١٣ م . انظر :

J. C. Hure with , Diplomacy in the Near Middle east a Documentary record 1534 – 1914 , Vo1. I , New Jersy , 1956 . pp. 39- 40 .

8 – Richar Char Ques , A short history of Russia , London,1959 , p. 102 .

٩ – اكاديمية العلوم في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفاتية ، تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفاتية، ترجمة مصطفى فقير ، موسكو ، د. ت ، ص ٢٢٠ .

10 – Stuart Andrews , Eighteenthe Century Europe , London , 1965 , p. 130 .

11 – Ronald Hingley , The Russian Mind , London, 1978 , p. 32 .

12 – Clarkson , op. cit . p. 261.

١٣ – قلفاط ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

١٤ – مجموعة مؤلفين ، موجز تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، ترجمة طه الصواف ، موسكو ، د. ت ، ص ١٠٦ .

15 – Walsh , op. cit , p. 123 .

١٦ – يبيانوف ، فيدوسوف ، تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ترجمة خيري الضامن ، موسكو ، ب. ت، ص ٢٢٥ .

17 - Walsh , op. cit , p. 123 .

١٨ – قلفاط ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٩ – اكاديمية العلوم ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

٢٠ – قلفاط ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

21 – Clarkson , op. cit , p. 262 .

٢٢ - قلفاط ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

٢٣ – يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

24 - Hingley , op. cit , p. 33 .

25 – Ibid , p. 34 .

26 - Clarkson , op. cit , p. 265 .

27 - Ston , op. cit , p. 62 .

٢٨ – ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة فؤاد انـــدوراس ، ج٢١ ، مصـــر ، ٢٠٠١ ، ص ٣٨ – ٣٩ .

29 – Jane Burbank – David . L. Ranse , Imperial Russia , London , 1998 , p. 25 .

30 - Ibid , p. 26 .

٣١ - قلفاط ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

٣٢ - يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

33 – M. T. Florinsky , A history and an Inter Petatian , Vol. II , New York , 1953 , pp. 483 – 484 .

34 – Jerome Blum , lord and Peasant in Russia , New Jersy . 1961 , p. 364 .

35 - Ibid , p. 428 .

٣٦ - قلفاط ، المصدر السابق ، ص ٤٩ – ٥٠ .

37 - Clarkson , op. cit , p. 266 .

38 – http : // departments . King . edu / womens – history / elizabth tsar htm 1 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

39 - Walsh , op. cit , p. 123 .

40 - Bur bank , op. cit , p. 36 .

41 - Walsh , op. cit , p. 125 .

٤٢ – حصل الدفوريان الذين ساندوا الامبراطورة على هبات نقدية وعينوا في ارفع المناصب ، ومنحوا اقطاعيات واسعة جداً في مناطق الفولغا واوكرانيا . للمزيد من المعلومات . انظر :

قلفاط ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .

43 – Dominic lieren . The Cambridge history of Russia , Vol. II , Cambridge , 2006 , p. 186 .

44 – J. K lier , Russia Gathers her Jews , Dekalb , 1986 , p. 30 .

٤٥ - شميدت ، تارنوفسكي – بيرخن ، موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي ، بدون مترجم ، موسكو – ١٩٨٦ ، ص

46 – Blum , op. cit . p. 364 .

47 – Lieren , op. cit . p. 187 .

48 – S. V. Utechin , Every man's Concise Encyclopedia of Russia , London , 1961 , pp. 327 – 328 .

49 – Walsh , op. cit . p. 126 .

50 - Ibid , op. cit . p. 126 .

51 – Utechin , op. cit . p. 418 .

52 - Florinsky , op. cit . p. 483 .

53 – For Gn Lan Gv Ages PuB lshing House . out line history of the U.S.S.R. , Translated By Qeorg . H. Hanna . Moscow , 1970 , pp. 102 – 103 .

٥٤ - هـ .آ. ل فيشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث ١٧٨٩ – ١٩٥٠ ، ترجمة احمد نجيب هاشم – وديع الضبع ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٦٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥٥ – ديورانت ، المصدر السابق ، ص ٥٣ .

٥٦ - قلفاط ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .

٥٧ - ديورانت ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .

58 – Hing ley , op. cot , p.34.

٥٩ - ديورانت ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .

60 - Walsh , op. cit . p. 131 .

٦١ - ديورانت ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

٦٢ – هي حرب اشتركت فيها بروسيا وانكلترا وروسيا والنمسا وسكسونيا وفرنسا والسويد والبرتغال . للمزيد من المعلومات انظر : زينب عصمت راشد ، تاريخ اوربا الحديث ، ج١ ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٥٧ – ٢٦٩ .

٦٣ – نظير زيتون ، روسية في موكب التاريخ ، سان باولو ، ١٩٤٧ ، ص ٩ - ٧١.

64 - Lieren , op. cit . p. 501 .

المصـــــادر

اولاً – المصادر باللغه العربية والمترجمة :

١ – اكاديمية العلوم في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفاتية ، تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفاتية ، ترجمة مصطفى فقير ، موسكو ، د. ت .

٢ – راشد، زينب عصمت ، تاريخ اوربا الحديث ، ج١ ، القاهرة ، .٢٠٠٥

٣ - شميدت ، تارنوفسكي – بيرخن ، موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي ، بدون مترجم ، موسكو – ١٩٨٦ .

٤- مجموعة مؤلفين ، موجز تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، ترجمة طه الصواف ، موسكو ، د. ت .

٥ – قلفاط ، نخلة ، تاريخ روسيا الحديث ، ج٢ ، بيروت ،.١٨٨٧

٦– زيتون ، نظير ، روسية في موكب التاريخ ، سان باولو ، ١٩٤٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧- فيشر ، هـ .آ. ل ، تاريخ اوربا في العصر الحديث ١٧٨٩ – ١٩٥٠ ، ترجمة احمد نجيب هاشم – وديع الضبع ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

٨ - ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة فؤاد اندوراس ، ج٢١ ، مصر ، ٢٠٠١ .

٩ - يبيانوف ، فيدوسوف ، تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ترجمة خيري الضامن ، موسكو ، ب. ت .

ثانياً : المصادر الاجنبية :

1 –. R. Stone , David , Amilitary history of Russia , London , 1984 .

2 - lieren , Dominic . The Cambridge history of Russia , Vol. II , Cambridg , 2006 .

3 – For Gn Lan Gv Ages PuB lshing House . out line history of the U.S.S.R. , Trans Lated By Qeorg . H. Hanna . Moscow , 1970 .

4 - Vernadasky , George, A history of Russia , London , 1961 .

5 - D. Clarkson , Jess , A history of Russia . Edinburh , 1962 .

6 - witz , J. C. Hure , Diplomacy in the near Middle east a documentary record 1534 – 1914 , Vo1. I , New Jersy , 1956 .

7 - Jane Burbank – David . L. Ranse , Imperial Russia , London , 1998.

8 – Blum , Jerome , lord and Peasant in Russia , New Jersy . 1961 .

9 – lier , J. K , Russia Gathers her Jews , Dekalb , 1986 .

10 - Char Ques , Richar, A short history of Russia , London,1959

11 – Hingley , Ronald , The Russian Mind , London , 1978 .

12 – Andrews , Stuart , Eighteen the Century Europe , London , 1965 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

13 – Utechin , S. V. , Every man's Concise Encyclopedia of Russia , London , 1961 .

14 – Florinsky, M. T. , A history and an Inter Petatian , Vol. II , New York , 1953 .

15 – Warren Bart lett Walsh , Russia and the Soviet Union , Michigan , 1958 .

16 – Klyuchersky , Vasili , Peter the Great . Translated by litiana Arch pald , New York , 1961 .

مواقع الانترنت

1 - – http : // departments . King . edu / womens – history / elizabth tsar htm 1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com